شَجَرَةُ الأَنبِيَاءِ

- ١٩ -

المَسِيحُ عِيسَى ابنُ مَرْيَمَ

آية الله للناس

منصور الرفاعى عبيد   د/ إسماعيل عبد الفتاح   رزق السيد هيبة

رسم صفوت قاسم

ملتزم الطبع والنشر

دار الفكر العربى

٩٤ شارع عباس العقاد - مدينة نصر - القاهرة

ت : ٢٧٥٢٩٨٤، ٢٧٥٢٩٨٤، فاكس: ٢٧٥٢٧٣٥

٢٢٩,٥ منصور الرفاعى عبيد.

م ن م س المسيح عيسى ابن مريم: زينة الله للناس/ منصور الرفاعى عبيد، إسماعيل عبد الفتاح، رزق السيد هيبة؛ رسم صفوت قاسم.- القاهرة: دار الفكر العربى، ١٩٩٨.

٣٢ ص : إيض؛ ٢٤سم. - ([سلسلة] شجرة الأنبياء؛١٩)

تدمك : ١ ـ ١١٥٦ ـ ١٠ ـ ٩٧٧.

١ ـ قصص الأنبياء. أ ـ إسماعيل عبد الفتاح، مؤلف مشارك. ب- رزق السيد هيبة، مؤلف مشارك. جـ- صفوت قاسم، رسام. د- العنوان. هـ- السلسلة.

صف كمبيوتر عادل أحمد العزب

رقم الإيداع	٩٦٥١ / ٩٨

بسم الله الرحمن الرحيم

مَا أَجملَ العَيْشَ فِى رِحَابِ أَنبيَاء الله، وَمَا أَحلَى قِراءةَ سِيرتِهِمْ أَوْ الاسْتِمَاعَ إِليهَا، فَفِى قَصصِهِمْ عِبرةٌ لأَصْحَابِ العُقُولِ الرَّشِيدة، ومعهمْ يَتعرَّفُ الإِنسَانُ عَلَى قُدرة الله عزَّ وجلَّ، الَّذِى يَقُولُ للشَّىْءِ كُنْ فيكُونُ.

إنَّ قُدرةَ الله عَظِيمَةٌ، فَهوَ الخَالِقُ المبدِعُ، لَيسَ كَمِثلِه شَىْءٌ، ولَقدْ تَجلَّتْ قُدرةُ رَبِّنا سُبحانَهُ وتعَالَى فِى كَثِيرٍ مِمَّا نراهُ ونسمعُ عنهُ، فَقدْ خَلَقَ آدمَ عَلَى غَيرِ مِثَالٍ سَابِقٍ، ونفَخَ فيهِ مِنْ رُوحِه، ثُمَّ خَلَقَ حَوَّاءَ مِنْ أَبٍ هُوَ آدمُ، إذْ خَلقهَا مِنْ ضِلَعِه فصَارتْ مَخلوقَةً مِنْ أَبٍ دُونَ أُمٍّ، ثُمَّ تجلَّتْ مَظاهِرُ قُدرتِه وعَظَمتِه أَنهُ خَلَقَ عِيسَى عَليه السَّلامُ مِنْ أُمٍّ دُونَ أَبٍ، لتكُونَ الدَّلالَةُ وَاضِحَةً، والمَعْنَى أَكبرَ أَمامَ أَعينِ النَّاسِ الذِينَ جَحدُوا بقُدرة الله، ثُم نَحنُ البَشَرَ جَميعًا مَخلوقُونَ مِنْ أَبٍ وَأمٍّ عَنْ طَرِيقِ الزَّواجِ الذِى جَعَلَهُ اللهُ نِعْمةً عَلَى الإِنسَانِ، جَالبًا للسَّكنِ والسَّكِينة والمودَّةِ والرَّحمة.

ولَقدْ كَانَ خَلْقُ عِيسَى عَليهِ السَّلامُ مِنْ أُمٍّ دُونَ أَبٍ آيَةً للنَّاسِ يُعلِنُ اللهُ عَن طرِيقِهَا للبشرِيَّةِ جَمعَاءَ:

«إننى أَنَا اللهُ الخَالِقُ القَادِرُ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ، فَهلْ تُخلِصونَ فِى عِبادتِى أيهَا البشَرُ؟ وَهلْ هُنَاكَ مَنْ يَستحِقُّ العِبَادةَ والحمْدَ والشُّكرَ سِوَاىَ؟».

كَانَ مَولدُ المسِيحِ عِيسَى ابنِ مَريمَ آيةً، وكَانتْ حَيَاتُهُ آيةً، وكَانتْ دَعوتُهُ آيةً، وكَانتْ مُعجزَاتُهُ آياتٍ وآياتٍ.

جَاءَ مبشِّـرًا بآخر الأنبياءِ والرُّسلِ سَيدنَا مُحمَّـد ﷺ، وكَانتْ نهايتُهُ عَلَى ظهْرِ الأرْضِ آيةً مِنْ آياتِ الله الوَاضحَـةِ الجليَّةِ التى تَدُلُّ عَلَى أَنَّ اللهَ عَـزَّ وجَلَّ هُو الواحِدُ الذى يَسْـتحقُّ العبادَةَ والتقـدِيسَ، لأنهُ لاَ إلهَ غيْرُهُ وَلا ربَّ سواَهُ.

فَلنعش لحظَات مُباركةً مَعَ سيدنَا عِيسَى عَليهِ السَّلامُ، ومَعَ آياتِ الله عَـزَّ وجَلَّ التى ظَهرتْ لِلنَّاسِ عَلَـى يَدَيه مُنذُ مَولدِه حَـتَّى رَفعَـهُ اللهُ إِلَى السمَّوات العُلاَ.

اللهُ يصْطفِى مَنْ يشاءُ

مِنْ فَضلِ اللهِ عَلَى الـكَونِ أنهُ فَضَّلَ بعْضَ النَّاسِ عَلَى بَعضٍ، كَـمَا فَضَّلَ بعضَ الأيامِ عَلَى بَـعضٍ، وفضَّل بْعضَ الأماكنِ عَلَى بعْضٍ، فَـقَدْ فَضَّلَ اللهُ يومَ الجَمعة عَلَى سَائرِ أيَّـام الأُسْبوعِ، ويوْمَ عرفَةَ عَلَى سَائرِ أيامِ السَّنةِ، وَشهرَ رمضَانَ عَلَى سائرِ الشُّهورِ، وليلةَ القدرِ عَلَى سَائرِ الليَالى.

وَفضَّـلَ اللهُ بيتَـهُ الحَرامَ فِى مكَّةَ المكَّرمـةِ عَلَى سَائرِ بـقَاعِ الأَرضِ، وَاصْطفَى اللهُ الأنبـيَاءَ والرسُلَ عَلَى سَـائرِ البشَـرِ، وفَضلَ اللهَ عَـزَّ وجَلَّ سيـدَنَا مُحمَّدًا ليكُونَ خَـاتمًا للأنبياءِ والرسُلِ، وجَـعَلَهُ أَفضَلَهمْ جَميـعًا، وَاصْطفَىُ اللهُ آدمَ ونُوحًا وآلَ إبرَاهيمَ وآلَ عمـرَانَ عَلَى العَالمينَ، لفضْلهمْ فِى حَملِ رَايةِ التوَّحـيدِ، والجهَادِ فِى ظلِّها فِى سَبِـيلِ الله عَزَّ وجَلَّ، قَالَ اللهُ تَعالَى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ۝٣٣ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٣٤**﴾ [آل عمران].

العذراء أم المسيح

هيَ مَريمُ بنتُ عمرانَ، كَانَ أبوهَا رَجُلاً عَظيمًا بَينَ العُلماء، في بني إسرَائيلَ، ولمَّا حَملتْ زَوجَتُهُ نَذَرتْ أنْ تَهبَ مَا في بطنهَا لخدْمة بيت المقدس. وكَانتْ هَذه عَادةُ الصَّالحينَ منَ العبَاد، حَيثُ تَهَبُ الأُسرةُ أحَدَ أبنَائهَا لخدْمة بيْت الله، وكَانَ في مصرَ إلَى عَهد قَريب، أن الأُسرةَ الصَّالحةَ الطيبةَ، تَهبُ أَحدَ أبنائهَا ليَكُونَ طَالبَ علمٍ في الأَزهَرِ الشَّريف، ليقُومَ بالدَّعوة إلَى الله عزَّ وجَلَّ، وتَبْليغِ الرِّسَالة إلَى النَّاسِ، ولعَلَّ اللهَ يوفقُنَا إلَى العَودة بأنفسنَا إلَى تلكَ السُّنَّة الحسَنة، لأنهَا دَأبُ الصَّالحينَ، ومَنهجُ الفالحين.

وهكذَا نذَرتْ أم مَريمَ جَنينَهَا وَهوَ لاَ يزالُ في بطْنهَا ليكُونَ خَادمًا لبيت المقدس، فَلمَّا وَضعَتْهُ، وَجدَتْهُ أنثَى، وَمنَ المعْلومِ أنَّ الأنْثَى لاَ تَتفرَّغ لخدْمة بَيت الله، وذَلكَ لأَجلِ الحرْصِ عَليهَا، وَالصِّيانَة لَهَا منْ عَبث العَابثينَ، وكَانتْ أمُّ مريمَ تَرجُو أنْ يكُونَ وليدُهَا ذَكرًا، ليخْدمَ في بَيت الله، فَاعتذَرت الأمُّ الصَّالحةُ إلَى الله اعْتذارًا إيمانيًّا رَقيقًا، وكَانَ الاعتذَارُ بمثابة دَعوة إلَى الله أَيضًا لكَيْ يَقيَ اللهُ سبحانَهُ وتَعالَى هَذه البنْتَ الوَليدَةَ «مَريمَ» وذُريتَهَا منَ الشَّيطانِ الرَّجيمِ.

وتقبَّلَ اللهُ البنتَ الوليدَةَ بقَبول حَسنٍ فَأنبتَهَا نَباتًا حسنًا، وَشبَّتْ عَلَى الفَضيلَة وعبَادة الله، ومكَارم الأخْلاق، ومحَاسنِ الفعَال. ولَمْ تكَدْ مَريمُ تُولَدُ، حَتَّى توفِّيَ والدُهَا، فَاحتاجَتْ أمهَا لَمن يَكْفُلُهَا، ويقُومُ بشأنهَا، فلمَّا قَدمتْهَا أمُّها إلَى كبار العَائلة الَّتى تَقومُ برعَاية بَيت المقْدسِ، وترْعَى شئُونَ بَني إسرائيلَ، تمسَّكَ كُلٌّ منْهمْ بكفَالتهَا، ورَغبَ أنْ يكون

هُو رَاعيَها ومُـدبرَ شئونَهَا، ولكىْ يرْضَى الجميعُ بما سَيكُونُ أجْرَوْا قُرعةً بَينهمْ، فكَانتْ نَتيجَـة هذه القُرعَـة أَنْ يتكَّفلَ سيـدُنَا زكَريَّا عَليـه السَّلامُ برعَاية الوَليدَة اليتيمَة مَريمَ ابنة عمرانَ.

وكَانَ سَيدُنَا زكريَّا عَليه السَّلامُ زوْجًا لخالَة البنْت مَريمَ، فرعَاهَا كَمَا يَرعَى ابنَتهُ، وكَانَ يهْتمُّ بتـرْبيتهَا وتعْليمهَا الإيمَانَ الصَّـحيحَ والعبَادةَ عَلَى شَـريعة مُـوسَى عَليـه السَّلامُ، حَـتَّى اتخذَتْ مكـانًا للعبَـادة دَاخلَ بَيت المقْدس، وَاتَّخَـذتْ لَهَا مـحْرابًا بداخله، وكَانَ زكَـريًّا عَليه السَّـلامُ يجدُ عندَهَا صنُوفًا منَ الأطعمَـة، وألوانًا منَ الفاكهَة فى غَير مَـوسمهَا، فكَان العَجَـبُ يَذهَبُ به كُلَّ مذْهبٍ ويسْـألُ مَريمَ: منْ أينَ يَأتيك هَذَا الـطَّعامُ وتلك الفوَاكهُ يَا مَريمُ؟

وكَانتْ تُجيبُهُ بلسَان الإيمَان الحىِّ اليقظ:

هُو منْ عند الله الَّذى يَرزُقُ مَنْ يشَاءُ بغير حسَاب.

وعَاشَتْ مَريمُ حَياةً إيـمَانيةً صَافيةً، لاَ تشوبُهَا شائـبةٌ، حَيَاةَ إنسَانة نَذرتْ نفسَـهَا لعبَادة الله عَـزَّ وجَلَّ، وخدْمة بيتـه، بَيت المقدس، فكَانتْ الملاَئكةُ تأتى إليْـهَا، وتُخـبْرُهَا بأنَّ اللهَ اصْطفَـاهَا وَاجْتـبَاهَا وطَهَّـرهَا منَ الأرجَاس والأدنَاس، فظلَّ لسانُهَا وقَلبُها وجَسدُهَا وعقْلُهَا فى عَبادة الله، عَـزَّ وجَلَّ، ولمْ تكنْ تَخـرُجُ من بيْت المقْـدس إلاَّ لقضَـاء حَـاجة لهَـا، وَلذلكَ سَمتْ نفسُهَا، وصفَتْ رُوحُهَا واتَّصلتْ بالملأ الأعلَى، عَنْ طريق هَذَا الصَّفاء الرُّوحىِّ، وذلكَ السُّموِّ النَّفْسىِّ، وكَانتْ تسمَعُ الملائكةَ تَحثُّها عَلَى الاجتهَاد فى عبَادَة الله عَزَّ وجَلَّ، والقُنوت لَهُ سبحانَهُ وتعَالَى:



يقُولُ اللهُ سبحانَهُ في القرآنِ الكَريم: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٣٥ - ٣٧].

وقَالَ عزَّ منْ قَائلٍ: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [آل عمران: ٤٢ - ٤٤].

ولْنتأمَّلْ هَذه الآيةَ الأخيرةَ، فاللهُ سُبحانَهُ وتَعَالَى يُقيمُ الدَّليلَ لكُلِّ البشَرِ أَنَّ هذَا القُرآنَ هُوَ كَلامُه لاَ كَلامُ غيرِه، بدَليلِ أنَّهُ يُخاطبُ مُحمَّدًا عَليه السَّلامُ بأخبارٍ أَصبحتْ غَيْبًا لاَ يعلمُهَا كَثيرٌ منَ النَّاسِ، منْهَا هَذه القصَصُ، وليسَ النَّبيُّ مُحمَّدٌ عليه الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ واحدًا منْ عُلماءِ التَّاريخِ حَتَّى يَعرفَ هَذه الأَحداثَ ويَقصَّهَا عَلَى النَّاسِ، وَفي الوَقْتِ نَفسه لمْ يكُنْ مَوجُودًا معَ بني إسرَائيلَ عندَمَا كَانُوا يُجرُونَ القُرْعَةَ، فَيكتبُ كُلُّ واحدٍ اسمَهُ عَلَى قَلمٍ، ويَقذفُونَ أَقلامَهُمْ جَميعًا فِي الماءِ، فَمنْ طَفَا قَلمُهُ وَعامَ فَوقَ سَطحِ الماءِ كَانَ نَصيبُهُ أَنْ يكفُلَ مَريمَ، وهكَذَا طَفَا قَلمُ سيدِنَا زكريَّا عَليهِ السَّلامُ، وغَرقَتْ بقيةُ الأَقلاَمِ.

مَريمُ.. تأتيهَا البشرَى بالولَد

كَبرَتْ مَريمُ، وأصبَحتْ فَتاةً رائعَةَ الجمَال، طَاهرةَ الجسَد، عَفيفَةَ النَّفسِ، بَعيدةً عَنْ عَوامِلِ الفسَاد، مَحرُوسَةً بعنَاية الله عَزَّ وجَلَّ، فلمَّا بَلغَتْ مبْلغَ النِّساء وَجدَتْ فِى خَلوتهَا فَتًى وَضيئًا حَسنَ الهَيئة.. كَانتْ فِى مِحْرابِهَا تَذكُرُ اللهَ عَزَّ وجَلَّ، فأَخذَهَا الرُّعبُ، وامتلأتْ نفسُهَا بالخَوف، وظنَّتْ أَنهُ يريدُ بهَا سُوءًا، وأنهُ منْ شَياطينِ الإنسِ، فَاستعاذَتْ بالله منهُ إذَا كَانَ منَ الشّياطينِ، لكنَّ الشَّابَّ لمْ ينصَرفْ، فَاستعاذَتْ مَرةً أخرَى بالرَّحمَنِ الرَّحيم، ليحْميَهَا منهُ، وتَوسلَّتْ إلَى الشَّابِّ أنْ يترُكَهَا وَشأنهَا، لأنهَا ليسَ لهَا فِى مُتعِ الحيَاة نَصيبٌ. وهُنَا هَدَّأ الشَّابُّ منْ رَوْعهَا، وأَبلغَهَا أَنهُ مَلَكٌ مُرسَلٌ منْ عند الله تعَالَى، وأنُه مُكلَّفٌ بتَبليغِ رِسَالة إليْهَا منْ ربهَا سُبحَانهُ وتعَالَى، إنَّ اللهَ أَرسَلَهُ إليهَا ليهَبَ لَهَا غُلامًا زَكيًّا.. ذُعرتْ مَريمُ وأصيبَتْ بالدَّهْشة، وتعجَّبتْ أَشدَّ العجَب، وَقالتْ: إننِى طَاهرةٌ لَمْ أَبرحْ مكانِى، ولَمْ يمْسَسْنِى بَشرٌ، وأَنَا فَتَاةٌ فِى مُقْتبلِ العُمْرِ، ولَمْ يقربْنِى رَجُلٌ، فَكيفَ يَجِىءُ الولَدُ؟ هَذَا ضِدُّ سُنَّة الكَوْنِ، وضِدُّ طَبيعَة الأَشيَاء التِى حَولَنَا.

وكَشفَ الملَكُ عَنْ نفسه، وأَخبرَهَا أنهُ جبريلُ عَليه السَّلامُ، مَلَكُ الوحْيِ منَ الله لأنبيائه، وأَعلَمهَا بأنَّ اللهَ هُوَ الَذى وهَبَهَا الوَلدَ، وَهُوَ الذى قَضَى الأَمْرَ، ولَيسَ بعْدَ قَضائه قَضَاءٌ، وأَنَّ ذلكَ عَلَى الله يَسيرٌ، لأنهُ الإلهُ الذى لاَ يُعجزُهُ شَىْءٌ فِى الأَرضِ ولاَ فِى السَّماء، وإنمَا يقُولُ للشَّىءِ: كُنْ، فيكُونُ. وسبْحانَ الله العَظِيمِ!.

ثُمَّ قَامَ جبـرْيلُ عَليهِ السَّلامُ، فَنفَخَ فِى جَيبِ درعِـهَا، يَعنِى فِى كُمِّ قَميـصِهَا، فَأصْبـحَتْ حَاملاً عَلَى الفوْرِ بإِذنِ اللهِ تعَالَى، وأُصِـيبَتْ مَريمُ بالدَّهـشةِ الَّتى بَلغتْ حَدَّ الرُّعبِ، ولكِنَّ جبريلَ عَـليهِ السَّلامُ طَـمأنَها: يَا مَـريمُ، إِنَّ المولُودَ الَّذى سَـتأْتِـينَ بهِ سَيكـونُ آيةً مِنْ آياتِ اللهِ للنَّاسِ، وسَيكُـونُ اسمُهُ المسِـيحَ عيـسَى ابنَ مَريمَ، وسَـيكُونُ وجِيـهًا فِى الدُّنْـيا وَالآخِرَةِ ومُقربًا مِنَ اللهِ عَزَّ وجَلَّ.

كَانَ الملَكُ جبـريلُ يُهدِّئُ مِنْ رَوعِ مَريمَ العَذراءِ البَتـولِ، الفَتاةِ الَّتى ليسَ لَهَا أَىُّ خِـبرَةٍ فِى شئوُنِ النِّـسَاءِ مِنْ وِلاَدَةٍ وَغيرِهَا، لأنهَـا لَمْ تُغادرْ بيتَ المقْدسِ، فَواصَلَ حَديثَهُ إِليهَا قَائلاً لَهَا:

يَا مريمُ لاَ تخَافِى؛ لأَنَّ اللهَ سيْمنَحُ المسيحَ مُـعجزَاتٍ، فَهوْ سُيكَلِّمُ النَّاسَ فِى صِغَرِهِ، كَـمَا يكلِّمُ الناسَ فِى شبَابِهِ وكُهُـولتهِ، وَأنَّ اللهَ تعَالَى سَيعلِّمُهُ الكتَابَ والحكْمَةَ والتورَاةَ، ويُنزلُ عَليهِ كِتابًا مِنْ عِندهِ هُوَ الإِنجيلُ، وأَنهُ سَيكونُ آيةً لِلناسِ عَلَى قُدرةِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ ورحْمةً لِبنى إِسرائيلَ.

وكَانَ بَنوُ إِسـرَائيلَ قَدْ صَارُوا إِلَى الماديَّـةِ ونَسُوا كُلَّ آياتِ اللهِ لَهـمْ، وتجاوزُوا حُدودَ اللهِ ولَمْ يُراعُـوا كِتَابهُ، فأَحلُّوا حَرامَهُ، وحَـرَّمُوا حَلاَلَهُ، فكَانَ عِيسَى ابنُ مَريمَ رَسولاً لهدَايتِهمْ، وردِّهِمْ عَنْ ضَلاَلِهمْ؛ لماَ ارْتكَبُوا مِنَ الفواحِشِ مَا ظهرَ مِنهَا ومَا بطَنَ، وكَانُوا لاَ يتَناهوْنَ عَنْ مُنكَرٍ فَعلُوهُ.

ولنقرأ قولَ الله تعالَى: ﴿إذْ قالت الْملائكَةُ يا مرْيمُ إنَّ اللَّهَ يُبشِّرُك بكلمةٍ مّنْهُ اسْمُهُ الْمسيحُ عيسَى ابْنُ مرْيم وجيهًا في الدُّنْيا والآخرة ومن الْمُقرَّبين (٤٥) ويُكلّمُ النَّاس في الْمهْد وكهْلاً ومن الصَّالحين (٤٦) قالتْ ربّ أَنَّىٰ يكُونُ لي ولدٌ ولمْ يمْسسْني بشرٌ قال كذلك اللَّهُ يخْلُقُ ما يشاءُ إذا قضىٰ أمْرًا فإنَّما يقُولُ لهُ كُن فيكُونُ (٤٧) ويُعلّمُهُ الْكتاب والْحكْمة والتَّوْراة والإنجيل﴾

[آل عمران: ٤٥ - ٤٨]

ثُمَّ لنقرأ قولَه عزَّ وجلَّ: ﴿واذْكُرْ في الْكتاب مرْيم إذ انتبذتْ منْ أهْلها مكانًا شرْقيًّا (١٦) فاتَّخذتْ من دُونهمْ حجابًا فأرْسلْنا إليْها رُوحنا فتمثَّل لها بشرًا سويًّا (١٧) قالتْ إنّي أعُوذُ بالرَّحْمن منك إن كُنت تقيًّا (١٨) قال إنَّما أنا رسُولُ ربّك لأهب لك غُلامًا زكيًّا (١٩) قالتْ أنَّىٰ يكُونُ لي غُلامٌ ولمْ يمْسسْني بشرٌ ولمْ أكُ بغيًّا (٢٠) قال كذلك قال ربُّك هُو عليَّ هيّنٌ ولنجْعلهُ آيةً لّلنَّاس ورحْمةً مّنَّا وكان أمْرًا مَّقْضيًّا﴾ [مريم: ١٦ - ٢١]..

ولادة المسيح
عيسى ابن مريم عليه السلام

حَملت العَذراءُ البتُولُ مَريمُ ابنةُ عمرانَ، بمجرَّد أَنْ نَفخَ جبريلُ عَليه السَّلامُ في كُمِّهَا، فَانزعَجتْ لذلكَ، وشغَلتْهَا الوَسَاوسُ، وفكَّرتْ فيمَا يُمكنُ أَنْ يُقولَهُ النَّاسُ عَنهَا، ولَكنَّ جبريلَ طَمْأَنهَا، ومرَّتْ فَترةُ الحملِ خَفيفَةً سَريعةً، ولَما حَانَ وقتُ الولادَة خَرجَتْ إلَى مكَان يُسمَّى الآنَ «مَدينةَ بيت لَحم». وكَانَ ذلكَ بتوجيه منْ جبريلَ عَليه السَّلام. وبَيتُ لحم هَذه عَلَى مَسافة قَريبة مِنْ بيتِ المَقدسِ، لاَ تبعُدُ عَنهُ إلاَّ بضْعة كيلو مترات.

وهُناكَ لجأت البتُولُ الحاملُ إلَى جـذْعٍ، وكَان الوقْتُ شتاءً، والنَّخلةُ يَابِسَةٌ جَافَّةٌ، لاَ ثمرَ لَهَا، وعندَ لحـظة الولاَدة أحسَّتْ مَريمُ بمَا هيَ قَادمةٌ عَليه منَ امتـحانٍ عَسير، فكيفَ سَـيصدِّقُ النَّاسُ أَنَّها لَمْ تَرتكبْ فَـاحشَةً كَانتْ ثمرَتُهَا ذَلكَ الجنينَ الموشكَ عَلَى الظُّهور، فتمنَّتْ أَن تَموتَ قَبلَ أَنْ تَخُوضَ هَذَا الامتحَانَ، ولكنَّ اللهَ المطَّلعَ عَـلَى أحْوالهَا أرسلَ إليهَا مَلكًا، فَنادَى عَليهْا منْ مكانٍ أَسفَلَ منْها؛ لكىْ يُطمئنَها، فقَالَ لَهَا:

يَا مَـريمُ، لاَ تحْزنى، إنَّ فَـضلَ الله عَليك عَظـيمٌ، لَقدْ جَـعلَ اللهُ تَحتَك نَهْرًا، وَهُزِّى جذعَ النَّخْلة يتَسـاقَطْ عَليكَ بَلَحًا جَيدَ الطَّعمِ، وحُلوَ المذَاق، وَهذه عنايةُ الله تَرعَاك، فكُلى واشْربى، واهَدئى نَفْـسًا، وَاطْمئنِّى قَلبًا وقَرِّى عَيْنًا.

إنَّها نعَمٌ جَليلَةٌ جَزيلَةٌ، يُسبغُهَا اللهُ عَلَى عباده الصَّالحينَ، فالمعْروفُ أَنَّ المرأةَ أَثناءَ ولاَدتهَا لاَ تَستطيعُ التحَـرُّكَ، فكَيفَ تَهزُّ مريْمُ جذعَ نخْلة لاَ يَقدرُ أىُّ قَـوىٍّ منَ الرجَال أَنْ يهزَّهُ، ولَوْ شَـاءَ اللهُ لتَساقطَ عَليـهَا الرُّطَبُ الجَنىُّ دُونَ أَنْ تُضطَرَّ إلَى التحَـرُّك وَهزِّ جذْع النَّخلة، ولَكنَّ اللهَ سُبْـحانَهُ وتعَالَى، يُعطينَا دُروسًـا فى ضَرورَة العَملِ، والأَخذ بالأَسـبَاب، وأَنهُ لَنْ يكسبَ إنسَـانٌ فى دُنياهُ مَكْسـبًا مُعَـيَّنًا إلاَّ إذَا سَبـقَهُ العَمَلُ والـكفَاحُ منْ أجله، لهَـذا نَاداهَا الملَكُ، بَأنْ تَهزَّ جِـذْعَ النخْلة، ثُمَّ تابعَ نداءَهُ لِيُـخفِّفَ عَنْهَا مَا هيَ فيه، فقَالَ لَهَا:

فكُلى وَاشـربى واهْدئى بَالاً، وَلاَ يَحزنْك مَـا يقُولُون عنْـك، فَإذَا رأَيت أحَدًا فَـلاَ تتكلَّمى، وَأَشيـرى إلَى الموْلُود، وَسيتـولَّى اللهُ سُبْـحَانَهُ وتعَالَى أَنْ يُقيمَ لَهمُ البرهَانَ، ويقدمَ الدليلَ عَلَى براءَتك.

وسُبحانَ الله، لَقدْ كَانَ الرُّطبُ طَعامًا وحُلْوَى ولاَ يحْتاجُ إِلَى المعَاناة فِى المضْغ كَمَا يفَعلُ الإنْسانُ بالطَّعامِ العَادِىِّ، فكَانَ ذَلكَ رِفقًا منَ الله تعالَى ومعُونةً لمرْيمَ.

وَولدَتْ مَريمُ المسيحَ عَليه السَّلامُ.

وَيقَالُ أنَّ اسْمَ المسيح يَعنِى النَّبىَّ الملكَ، وليسَ المرَادُ بذلكَ أنَّهُ سَيصيرُ ملكًا حَاكمًا عَلَى بَنِى إسَرائيلَ، ولكنْ معْناهُ أنهُ سيكُونُ ملكًا نبيًّا، يَأتيهمْ بمملكَة الفضَائلِ والأَخلاَق الحسَنَة، والرَّحمة والْمحبَّة، وكَانَ اسمُهُ فى العبرية «يَسُوعُ» أَى المخَلِّصُ، إشارةً إلَى أنهُ سَيكُونُ سببًا لتْخليصِ كثيرينَ منْ آثامهمْ وضَلالِهمْ، فكَانَ المسيحُ هوَ آخرُ الأَنبياء والرُّسُلِ منْ بَنِى إسَرائيلَ.

وَبعدَ أَنْ وَلدتْ مَريمُ وليدَهَا بدُون أَبٍ، لَمْ تَمض إلاَّ أيامٌ قَليلَةٌ حَتَّى عَادتْ إِلَى بَيت المقْدس، تحْملُ ابنَهَا عَلَى يَديْها، وكَانت المفاجَأةُ شَديدَةً عَلَى القوْم، وأصيبوُا بدَهشَة بَالغَةٍ، وتَساءلُوا:

كَيفَ يحْدثُ ذَلكَ لمريمَ العفيفَة، وكيفَ تَأتى بولَدٍ لَم نَعرفْ لَهُ أَبًا، فَهلْ يُمكنُ أَن تكُونَ قَد اقترَفتْ خَطيئةً؟

وأغْرقُوا فِى التسَاؤل: هَلْ يمْكنُ أَنْ تكُونَ هَذه مَريمُ الَّتى نَعرفُهَا، بنتَ عمرانَ التى نَشأتْ فِى بَيت التقْوَى والطُّهر، وَهىَ شَبيهَةُ هَارُونَ فِى تَقْواهُ، ذَلكَ الرَّجُلُ الطَّيِّبُ المبارَكُ!! فقَالُوا لَهَا: لَقدْ جِئْت بشىْءٍ بَديعٍ مُنكرٍ، يَا أخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبوكِ سَيِّئَ السِّيرَة، ومَا كَانَتْ أمُّكِ آثمةً وَلاَ خَاطئةً!!

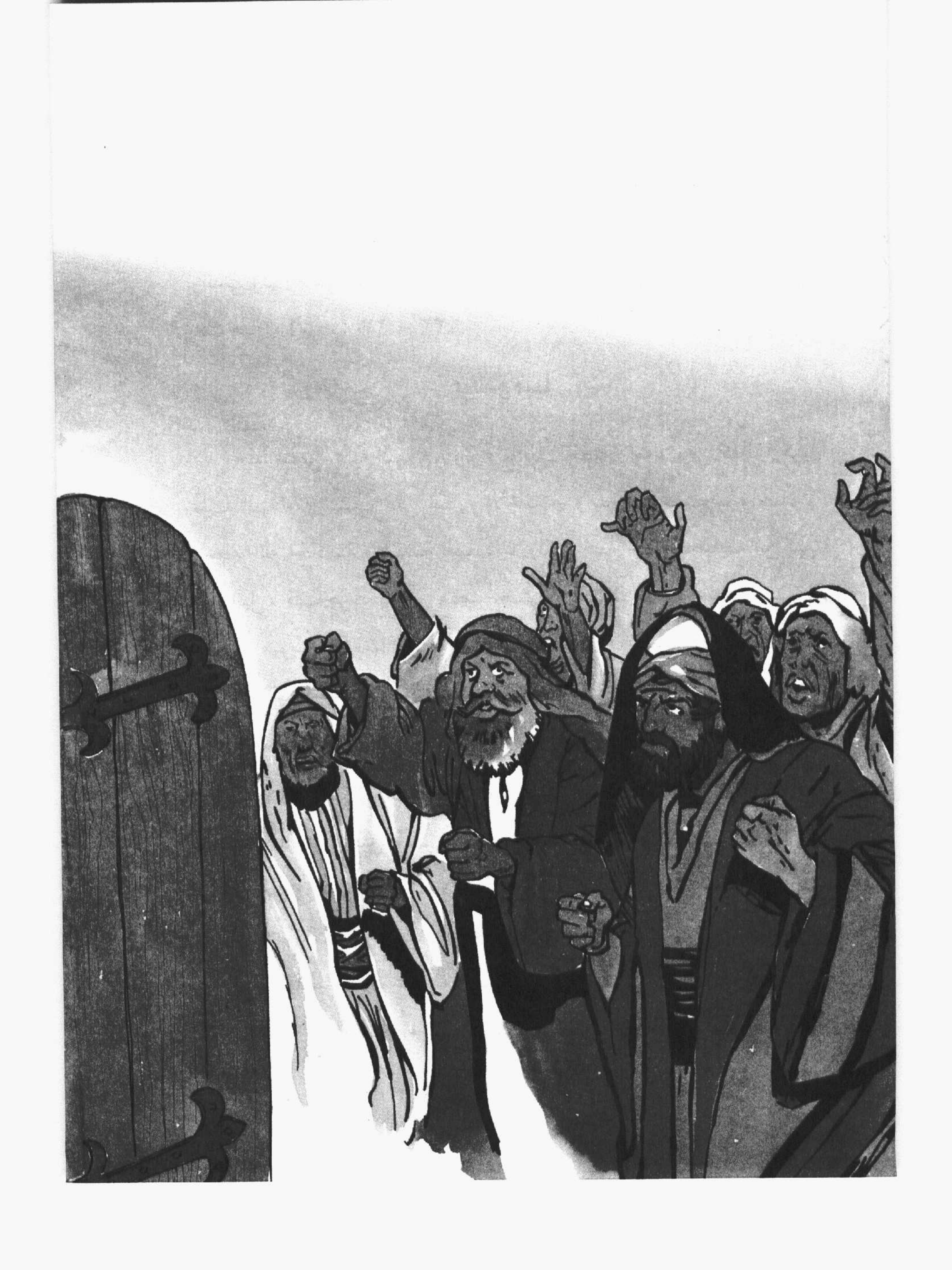
سَمعتْ مَـريمُ هَذَا القَولَ، فَبكتْ لما تَسمَعُ، ولكنَّهَا تذكَّـرتْ وَصية المَلَك لَهَـا، فَأشَـارتْ إليـهمْ أنهَـا صَائمَـةٌ عَنِ الكَلامِ، ثُمَّ أَشـارتْ إلَى وَليدهَا، طَالبـةً مِنَ القوم أَن يُوجِّهُـوا أَسئلتَهُمْ إليـه، فَزادَ الأَمرُ عَجَـبًا، وازْدَادُوا هم دَهشَـةً، وتساءَلُوا: كـيفَ نكَلِّمُ مـولُودًا صَغِـيرًا، لَنْ يفْـهمَ السُّؤالَ، ولَنْ يَستطيعَ الجَوابَ؟!

وَلكنْ كَانت المفاجَـأَةُ أكبَرَ مِنْ كُلِّ تصوُّرٍ، فَقَـدْ أسكَتَهُمُ الطِّفلُ عَنِ التَّسـاؤُلاَت، وأَلجمَهمْ عَنِ الأَقاويلِ، فَـتكَلَّمَ هُوَ، وَقدَّمَ الإجابةَ الشَّافـيةَ الدَّالَّةَ عَلَى بَراءة أُمِّه، وَإعْلان مُستـقْبَله، إذْ قَالَ لَهمْ أنهُ سيكُونُ منْ أَهل العلمْ، وأنَّ اللهَ سَيُؤتيه كتَابًا منَ السَّمـاء، وسيجْعَلُهُ نبيًّا، وأنَّ اللهَ أَوصَاهُ بالصَّلاة والزَّكاة، وَأمَرهُ أَنْ يكُونَ بَاراًّ بوَالدته.

وَختنَت السَّيدةُ مَريمَ ولدَهَا المسيـحَ عندَمَا أَتمَّ ثمَانيةَ أَيامٍ منْ عُمرِه، طِبقًا لشريعَة إبرَاهيمَ عَليه السَّلامُ التى أوْرثَهَا أَولاَدهُ.

ورَمَى النَّاسُ السَّيدةَ مَريمَ بالفَاحشَة، ولكنَّهمْ لَمْ يستَطيعُوا أَنْ يقيمُوا عَلَى مَا يقُولُونَ بينةً وَلاَ دَليلاً وَلا بُرهَانًا.

يَحْكِي لَنَا الـقُـرآنُ الكَريمُ هَذه المواَقفَ، فَـيـقُـولُ رَبنَا سُـبـحـانَهُ وتعَالَى: ﴿**فَأَجَاءهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلاَّ تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَا أُخْتَ هَارُونَ**



مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾ [مريم: ٢٣ - ٣٣].

عيسى نبيا

وُلِدَ عيسىَ عَليه السَّلامُ، وترعْرعَ بَينَ أحضَانِ أمِّه، وفى كفَالة زكريَّا عَليـه السَّلامُ. فَـشَبَّ عَلَى مَكارم الأخْـلاَق وهُدوء الأعصَـاب والحـلْمِ، وأعطَاهُ اللهُ الحكْمَـةَ وسَـعَـةَ الصَّـدْرِ، ولكنَّ أمَّـهُ خَـافتْ عَليـه من بَنى إسـرَائيلَ، فهَـاجرتْ بِهِ إِلَى مـصْرَ حَـتَّى هَدأت الأُمورُ فى بلاد الشَّـامَ، وعادَتْ مَـريمُ مَع ابنَها إلَى بَيت المْقدس، بعْـدَ أَن قَضَتْ فِى مصْـرَ عدةَ سنَوات كَانَ المسيحُ خلالَهَا قَدْ أصبَحَ شَابًّا يافعًا، وفى هَذه الفترَة اصْطفَاهُ اللهُ وعَلَّمهُ الكثيرَ منَ العلمِ الَّذى لَمْ يَنلْهُ سواهُ.

عَرفْنَا فى القصَّة السَّابقة أنَّ يَحيَى عَليه السَّلامُ، كَانَ فى سنِّ المسيحِ تقريبًا، وقَدْ قُتلَ يحيَى بأمْـر مَلكِهِمْ، وبَعدَ مَقتلِ يَحْيَى، بعَثَ اللهُ المسيحَ عيـسَى ابنَ مَريمَ نبـيًّا ورَسُولاً إِلَى بَنى إسَـرائيلَ، ليكُونَ خَاتمَ أَنبـيائهمْ ورُسلِهْم، وذَاتَ مَرةٍ صَعـدَ إِلَى جَبلِ الزيتُون ليَجْنىَ زيتُـونًا، وبينَمَا كَانَ يصَلِّى عَلَى الجَبلِ، ويدْعُو ربَّهُ فيقُولُ: يَاربِّ اشْمَلْنى برحْمتكَ، فإذَا بنُورِ الملَكِ جبريلَ عَليه السَّلامُ، يَهبطُ عَليْه، ويَحضرُ إِلَى المكَانِ الذى هُوَ فيه،

ويُلقى عَليه الوَحْىَ الذى هُوَ «الإنجيلُ» وأخـبَرهُ أنهُ منَ الآنَ نبىٌّ ورَسولٌ، وعَليه أَنْ يدْعوَ بَنى إسَرائيلَ إلَى عبَـادة الله عَزَّ وجَلَّ، وتنفيذ أوامره الَّتى أمرَ، واجْتناب مَا نهىَ عَنْهُ . . كَمَا جَاءَ فى الإنجيلِ.

وَمعنَى كَلمة الإنجيلِ هىَ البشَـارةُ، ويتَضَّمنُ الإنجيلُ الهُدَى والنُّورَ، وَأهابَ ببنى إسَرائيلَ، أَن يتُـوبُوا إِلَى الله تَوبةً نصُوحًا، وَأنْ يرجـعُوا إِلَى رَبهمْ سبـحَانهُ، ويعْبـدُوهُ حَقَّ عبادته، كَمَـا دَعاهُمْ الإنجيلُ إلَى مَـحاسنِ الأَخلاَق ومكَارِم الأَفعال، كالتَّسامُح مَثلاً: مَنْ ضَربَكَ عَلَى خدِّكَ الأَيمن فَأَدرْ لَهُ خدَّكَ الأَيسَر، كذلكَ تنبأَ الإنجيلُ بـبْعضِ الأَحداث المستْقبليَّة التى صَارتْ مَلموسَةً مُـباشَرَةً، منهَا البشَارةُ بقرْب بَعثَـة النبىِّ مُحمد ﷺ، إذْ وعَدَ اللهُ بَنى إسـرائيلَ بأنهُ سيبْـعثُه بشـريعَةٍ جَـديدَةٍ مُستـقلَّة خَاتمة لكُلِّ الشَّرائعِ . . وسَيكونُ هَذَا قريبًا.

قَالَ اللهُ تعَالَى : ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [المائدة: ٤٦، ٤٧]. وقال تـعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

وبَدأَ عِيسَى ابنُ مَريمَ دعْوتَهُ إِلَى بَنى إسَرائيلَ.

دعوة المسيح إلى بني إسرائيل

بَدأَ المسيحُ عليه السَّلامُ يَدعُو بَنى إسرائيلَ إلَى عبَادة الله حَقَّ العبَادَة، فَوقَفَ يَعظهُمْ ويبَلغُهمْ رسَالةَ ربه، ويدَعُوهُمْ إلَى أنْ يَعودُوا إلَى الله، وَإلَى طَريقه المسْتقيم، بعْدَ أن انحَرفُوا عَن الصِّراطِ السوىِّ، ونهَاهمْ عَن التهَافت عَلَى جَمْعِ المالَ، وأكْلِ حُقوق النَّاسِ بالبَاطِلِ، وأَنْ يَدفعُوا إلَى كُلِّ ذى حَقٍّ حَقَّهُ، وأنَّ عَلَى كلِّ إنسَانٍ أنْ يأخُذَ مَا لهُ ويعْطِى مَا عَليه، وَحذرَهمْ عيسَى عَليه السَّلامُ منْ حسَابِ الآخرَة الَّذى كَانُوا قَدْ تَناسَوْهُ، لأنهُ يَومٌ يُحاسَبُ فيه الإنسَانُ عَلَى مَا عملَ فى الدنيَا، فمَنْ يعْملْ مثقَالَ ذَرَّةٍ خيرًا يرَهُ، وَمَنْ يعْمَلْ مثقالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ.

كَمَا أمَرهُمْ بالموازَنة بينَ العَملِ للدُّنيَا والعَملِ للآخرَة، وبَشرهُمْ بالبشْرَى الَّتى بَشَّر بهَا الأنبيَاءُ جَميعًا منْ قَبلُ، باقترَاب بَعثَة النَّبىِّ الأُمِّىِّ الذى وَعدَ اللهُ بَنى إسرَائيلَ بإرسَاله منْ بَينِ إخْوتهمْ، وَالذى سَيكُونُ وَاحدًا منْ ذُرِّيَّة إسمَاعيلَ عَليه السَّلامُ.

قصة الحواريين

الحَواريُّونَ هُمْ مَجموعَةٌ منَ الأَصْدقاء الَّذينَ تتلْمَذُوا عَلَى يَد سَيدنَا عيسَى عَليه السَّلامُ. وحَملُوا رسَالَتهُ بصدْقٍ وأمانة، وَهمْ أَصحَابُ المسيحِ وخَاصَّتُه الَّذينَ اختَارَهُمْ ليكُونُوا تَلاميذَ لَهُ، وَهمْ أَولُ مَن بَادرُوا إلَى الإيمَان بِه، وكَانُوا اثْنَىْ عَشرَ رَجَلاً، أَرسلَهمْ إلَى القُرَى ليدْعُوا

بنى إسرائيلَ إلَى مَا جاءَ بِهِ المسيحُ، ولَمْ تكُن استجَابةُ هؤلاء الحَوارِيِّينَ لدَعوةِ المسيحِ فِى سَاعةٍ وَاحدَةٍ أو يومٍ وَاحدٍ، ولَكنَّهمْ آمَنُوا علَى فَترات مُتفرقَةٍ، وأخلَصُوا للدَّعوة وسَاحُوا فِى الأرضِ مُبلغينَ عَن نَبيهمْ بالبَلاغِ الذى أتَى بِهِ منْ رَبِّ العَالمينَ، وكَانَ بَنوُ إسرَائيلَ قَدْ عَتَوْا عَنْ تصديق دَعوةِ المسيحِ وجَحَدُوا بهَا، وكَفَرُوا بَما أتاهُمْ بِه، ويَقُصُّ علَينَا القُرآنُ الكريمُ هَذه المعَانىَ فِى قوْلِ الله تَعالَى: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [عمران: ٥٢، ٥٣] كَمَا قَالَ عَزَّ وَجلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ [الصف: ١٤].

معجزات عيسى عليه السلام

أيدَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ نبيَّهُ عيسَى عَليهِ السَّلامُ بعَددٍ منَ المعْجزَاتِ الَّتى هِى عَلامَاتُ صدْقِ النَّبىِّ فِى دَعوتِه التى جَاءَ بهَا، لأنَّ النَّاسَ عَادةً يطلبُونَ المعجزةَ أو الآيَةَ، للتَّصديقِ بالنَّبىِّ، والنَّبىُّ يَعيشُ بينَ قَومٍ لَهمْ عَاداتٌ وأفعَالٌ معيَّنةٌ، والمعْجزَةُ هِىَ شَىْءٌ خَارقٌ للعَادةِ، يَعنى تكونُ منْ

مثل عَادة القَوم الَّذينَ جَاءَهُمُ النَّبىُّ، ولكنَّها تَفُوقُ تلكَ العَادةَ وتعْلُو عَلَيْهَا بحَيْثُ لاَ يُمكِنُ لبشَرٍ أَنْ يفْعَلَ مثلَهَا، فكَانَ كُلُّ نَبىٍّ لَهُ مُعجِزَةٌ تَفُوقُ قُدَرات قَومه وَما يُبدعُونَهُ ويبرَعُونَ فيه، وكَانَ الإعْجَازُ والإبَهارُ للأمَمِ المْختلفَة قَويًّا بِسَبَبِ تلكَ المعجزَاتِ الَّتى أيدَ اللهُ بهَا أنْبياءَهُ.

ولَمَّا بدأَ عيسَى عَليه السَّلامُ يُرشدُ النَّاسَ ويَعظُهمْ، وينْصَحُهُمْ بأنْ يَعودُوا إلَى طاعَةِ اللهِ والإخْلاَصِ فِى عبادَتِه طَلبُوا منْهُ الآياتِ الَّتى تَدُلُّ عَلَى أنُه نبىٌّ، وكَانَ القَوْمُ مُتقدِّمينَ بشكْلٍ كَبيرٍ فِى الطِّبِّ ومُداواةِ الأمْراضِ المستعْصيةِ، فَأيدَهُ اللهُ بمعْجزَاتٍ منْ نفسِ الأَعمَالِ التى تَفوَّقُوا فيهَا. ومَنْ مُعجزَاتِه المادِّيَةِ فِى مجَالِ الطِّبِّ:

أَنهُ جَاءَ بقطعَةٍ منَ الطِّين وشَكَّلَ منهَا تمثَالَ طَيرٍ، ونفَخَ فيه بإذْنِ اللهِ، فَأصبحَ طَيرًا، وَطَارَ فِى السَّماءِ تَحتَ بَصرِ القَومِ بإذنِ اللهِ الخَالقِ البَارئ المصَوِّر.

وَمِنْ مُعجَزاته إحيَاءُ الْموتَى بإذن اللهِ، إذْ كَانَ يقُولُ للميِّت: قُمْ، بإذنِ اللهِ، فيُقومُ الميِّتُ، ويكلِّمُ النَّاسَ فترَةً منَ الوَقتِ ثُمَّ يعُودُ إلَى مَوتَته.

وكَانَ يَشْفِى الأكْمَهَ، وَهوَ الذى وَلدتْهُ أمُّه أعمَى، كَمَا كَانَ يَشْفِى الأبرصَ، إذْ كَانَ يضَعُ يَدهُ عَلَى مَوضعِ الدَّاءِ، ويَقُولُ: اللهِ الشَّافِى، فَيشفَى المريضُ فِى الحَالِ بإذنِ اللهِ.

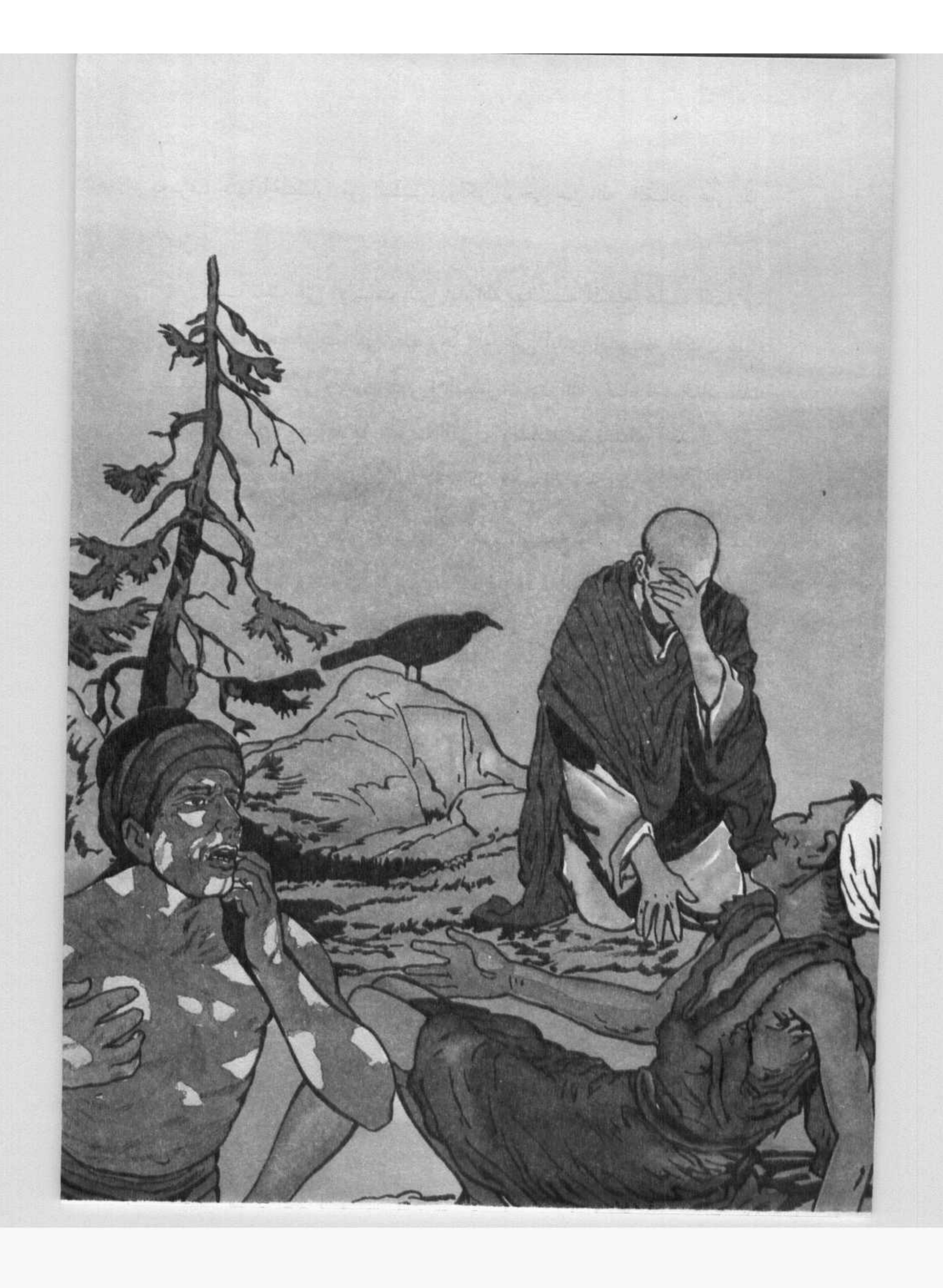
وكَانَ يُخبِرُ النَّاسَ بمَا يَأكُلُونَ ويشْربُونَ، ومَا يدَّخرُونَ فِى بيوتهمْ منْ مُؤنٍ ومَوادَّ غِذائيَّةٍ وحُبوبٍ وجَواهرَ، دُونَ أنَ يدْخُلَ هَذه البيُوتَ أَو

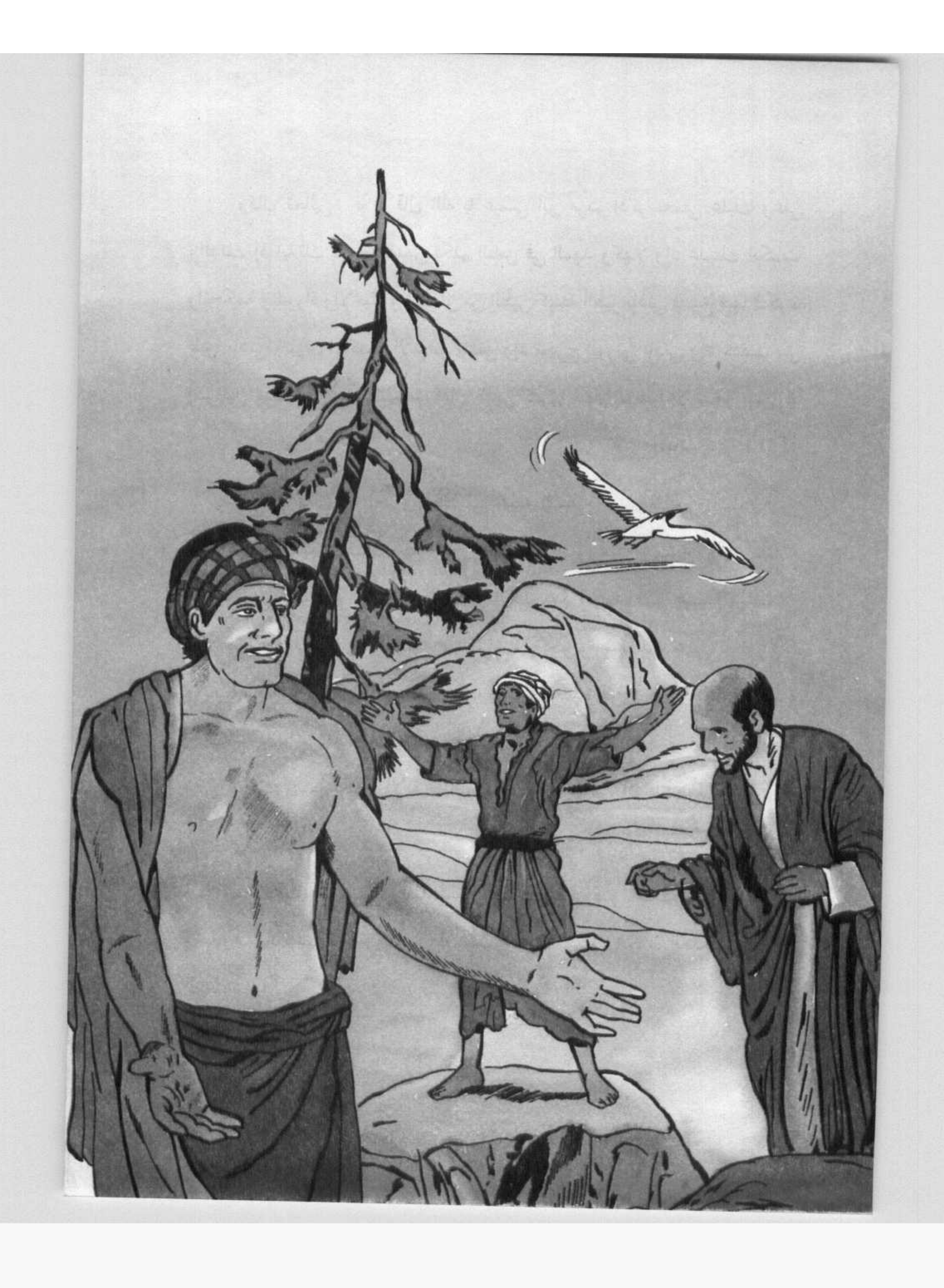
يعـرفَ عنَها أخـبـارًا منَ البشَـرِ، ولَكنَّ بُوحْيٍ منَ اللهِ القَـادرِ علَى كُلِّ شَيْءٍ.

كَانتْ تلكَ هيَ الآيَـاتُ الَّتي أيدَ اللهُ بهَا نَبيَّـهُ المسيحَ عَليـه السَّلامُ، وإذَا كَـانتِ المعْجـزاتُ الَّتي يُظهـرُهَا اللهُ علَى أيْدي أنبـيـائِه لتكونَ دَليلَ صِـدقِهمْ، هيَ شَـيءٌ يفُوقُ قُـدرةَ البـشَرِ، بإذْنِ اللهِ وقـدْرته، فـإنَّ تلكَ المعجزَاتِ كَانتْ وَقتيةً تَنتهي بموْتِ النَّبيِّ، ولذلكَ لَمْ يَستطعْ أَحدٌ أنْ يَأتيَ بمْثلِ مَا جَاء بهِ الأَنبياءُ علَيهمُ السَّلامُ، كُلٌّ في وقتهِ وحَسبَ عَادة قَومِه.

ولَكنْ، هَلْ آمنَ بَنُو إسـرائيلَ بدَعوةِ المسـيحِ بَعدَ أَنْ جَـاءهُمْ بتلكَ الآياتِ؟ إنهُمْ لَم يؤمِـنُوا، لأنهُمْ كَـانُوا في ضَـلالَةٍ، كـعَـادتِهمْ، لأنهُمْ يتمسَّكونَ بالحيَاة الدنْيَا، ويجْمعُونَ الأَموالَ منَ حَلالٍ أَو حرَامٍ، ويخَافونَ الموتَ؛ لأنَّ منْ بَعدهِ الحسَابَ والعقَابَ.

قال تَعالَى: ﴿وَرَسُولاً إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [آل عمران: ٤٩ - ٥١].

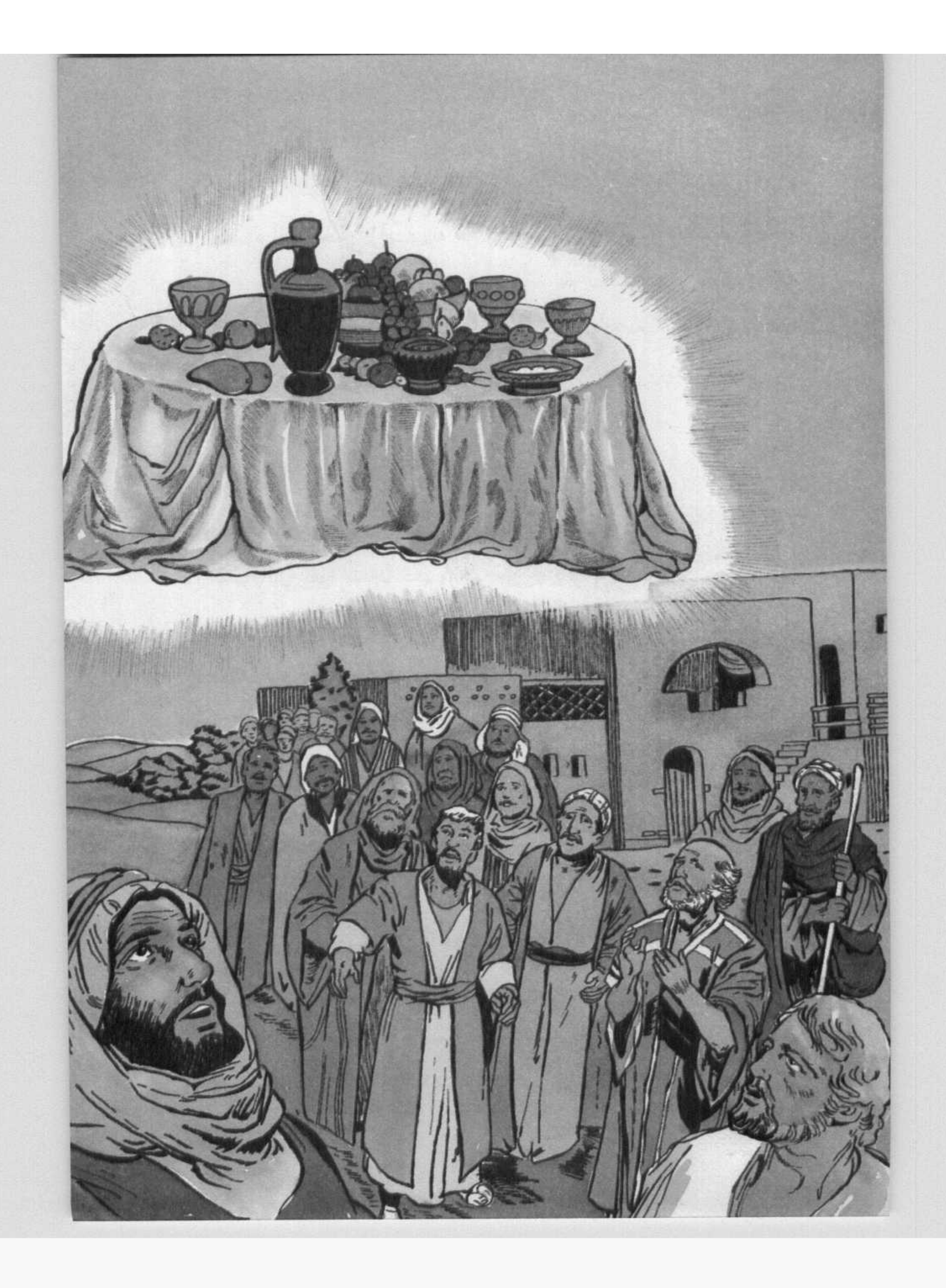




وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ [المائدة: ١١٠].

وهُناكَ معجزةٌ أخرَى لعيسَى عَليه السَّلامُ هِيَ مُعجزةُ المائدَة الَّتِي نَزلتْ مِنَ السَّماءِ، فَإِنَّ الحَوارِيِّينَ كَانُوا قَدْ طَلبُوا مِنَ المسيحِ عَليه السَّلامُ أَنْ يدْعَو رَبهُ لينزِلَ عَليهِمْ مَائدةً مِنَ السَّماءِ، لتكُونَ لَهمْ عيدًا ولتَطْمئنَّ قُلوبهُمْ، ويعْلمُوا أنَّ اللهَ قدْ صَدَّقهُمْ، ويكونُوا شُهداءَ عَلَى تلكَ الآيةِ والمعْجزَةِ، ولَمْ يكُنْ طَلبُ الحَوارِيِّينَ للمائدَةِ مِنْ أَجلِ الطَّعامِ فَقطْ، ولَكنَّهُمْ كَانُوا يُريدُونَ أَنْ يأتِيَ عِيسَى عَليهِ السَّلامُ بمعَجزةٍ خَاصَّة بِهِمْ، وَفِي الوقْتِ نَفسه تكونُ الآيةُ ظاهِرَةً للنَّاسِ، ويُمكنُ أَن ينتفعُوا بهَا.

واسْتجَابَ اللهُ لدعْوةِ عيسَى عَليه السَّلامُ، وأَنزلَ عَليهِمْ مَائدَةً تَضُمُّ أَصنافَ الطَّعامِ الشَّهِيِّ واللَّذيذِ، الَّذى لَمْ يتذَوَّقُوا طَعمَهُ مِنْ قَبلُ، وحَذَّرهُمُ اللهُ سُبحَانَهُ وتعَالَى أَنْ يكْفُرُوا بعدَ ذلِكَ؛ لأنَّ العَذابَ سيكونُ أَليمًا شَديدًا.



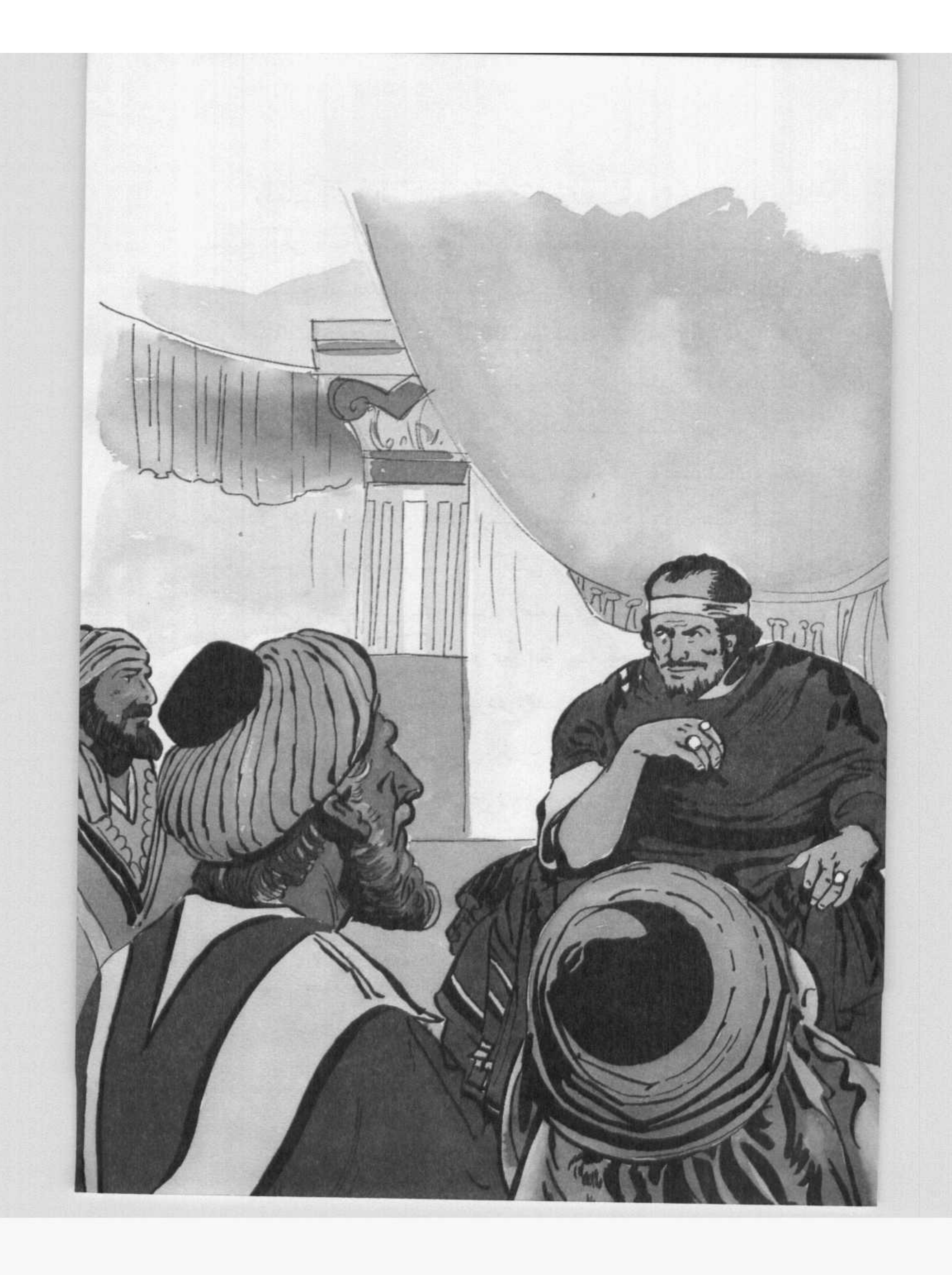
وَنزلت الملائكةُ بالمائدَة الَّتى تَضُمُّ أَشْـهَى الطَّعامِ وأَلذَّهُ، وهـىَ مَائدَةٌ مِنْ طعَـامِ أَهلِ الجنَّةِ أنزلَهَـا اللهُ مِنَ السَّـمـاءِ عَلَى أَعْـيُنِ النَّاسِ، فكَانَتْ مُعْـجزةً ماديَّةً وآيةً وَاضِـحَةً عَلَى اسْتـجَابة اللهِ لطلَبِ نبيِّه عيـسَى عَليه السَّـلامُ، ويقَـالُ أَنَّ بعْضَ القَـوْمِ أَنكروا هَـذه الآيةَ بعْـدَ أَنْ أَكلُوا مِنْهَـا فمسَخهُمُ اللهُ قردَةً وخنَازيرَ؛ وكَانـتْ آيةً ومعجزةً لَيسَ وراءَهَا مُعجزَاتٌ، لأَنَهَا تَحدٍّ لقُدرةِ البشَرِ.

قَالَ تعَالَى:

﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ [المائدة: ١١٢ - ١١٥].

خاتمة أمر المسيح عليه السلام

ظَلَّ المسيحُ عـيسَى ابنُ مـرْيمَ عَليهِ السَّلامُ ثَلاثَ سَـنوات يَدعُو بَنِى إِسَـرائيلَ إِلَى عبَـادة اللهِ عزَّ وجلَّ، وكَـانتْ دَعـوتُهُ قَدْ أَحـرجَتِ الكَهنةَ ورجَالَ الدِّينِ الإِسرَائيلىِّ الَّذينَ كَانُوا يقُومُـونَ بجمْعِ الأَموالِ، والاستفَادة منَ المعَابدِ، ففضَحَتْ دَعوةُ المسِيحِ طَريقتَهمْ فِى الابتزَازِ، وفَضحَتْ دَعوتُهُ رياءَهمْ وخُبثَهمْ، فحَاولُوا الكَيدَ لهُ، والتدْبيرَ لقَتْله.



وذَهَبَ الكَهنةُ إلى الملك يَشْكُونَ أمْرَ المسيحِ، وزيَّنُوا شكْواهُمْ بِأَنَّ المسيحَ ادَّعَى بأنهُ ملكُ اليهُود، وأنهُمْ لاَ يقرُّونَ بملكٍ إلاَّ قَيصَرَ، وأَنَّ ادِّعاءَ المسيح أنهُ مَلكُ بَنِي إسرَائيلَ يُمكنُ أَنْ يُزلْزلَ دَعائِمَ حُكمِ الملك، فَأرسَلَ الملكُ جُنودَهُ للقَبْضِ عَلَى المسيحِ عَليهِ السَّلامُ، ولَما وصَلَ الجُنودُ إِلَى مجلسِ عيسَى ولَمْ يبقَ إلاَّ القبْضُ عليه خَشِيَ عَليهِ السَّلامُ أَنْ ينالَهُ الأَذَى منَ الملك وجُنوده، فدَعَا اللهَ أَنْ يُنقذَهُ منهُمْ، فأنقذَهُ اللهُ منْ أَيديهِمْ وَأَلْقَى شَبَهَهُ عَلَى يَهُوديٍّ آخَر، كَانَ هُوَ الذى وَشَى بِهِ عِندَ الملك، وكَانَ هُوَ الَّذى أَعلمَ الجُنوَدَ عَنْ مكان عيسَى عَليه السَّلامُ. وكَانَ هَذَا اليَهوديُّ يسَمَّى يَهُوذَا، وكَانَ يتقرَّبُ منْهُ، فَأَلقَى اللهُ عَليه شَبهَ عيسَى فكَانَ كَأَنَّهُ هُوَ، فقَبَضَ الجُنودُ عَلَى يَهُوذَا هَذَا، وصَلَبُوهُ وقَتلُوهُ، ونَجَّى اللهُ نبيَّهُ منْ شَرِّهِمْ حَيثُ أَلقَى عَليه النَّومَ، ورَفَعهُ اللهُ إليْه بجَسده ورُوحِهِ حَيًّا إِلَى السَّماء، وأَنجاهُ اللهُ منْ شَرِّ اليهُود، وقَضَى اللهُ أَنْ يظَلَّ عيسَى ابنُ مرْيم فِي السَّمَاءِ إِلَى أَن ينزلَ فِي آخِر الزَّمان ليَقْتُلَ المسيحَ الدَّجالَ، ويُنقذَ البشريَّة مِنْ كُفرِه وشُرورِه وجُحودِهِ وضَلالِه.

وَهكَذَا كَانتْ منَّةُ اللهِ فِي رَفعِ المسيحِ إليهِ برُوحِهِ وجَسده، فَانتقَمَ اللهُ بقُدرته مِنَ اليهُوديِّ الذى وَشَى بِهِ فَشَبَّههُ بالمسيح، فَصُلبَ وقُتلَ جَزاءَ خيَانَتِه. . وكَانَ ذَلكَ مِنْ أعظَمِ الدَّلالاَت عَلَى أَنَّ اللهَ يَنصُرُ عِبَادَهُ الصَّالحينَ، مصدَاقًا لقول الله تَعالَى: ﴿**إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ** ﴿٥١﴾﴾ [غافر].

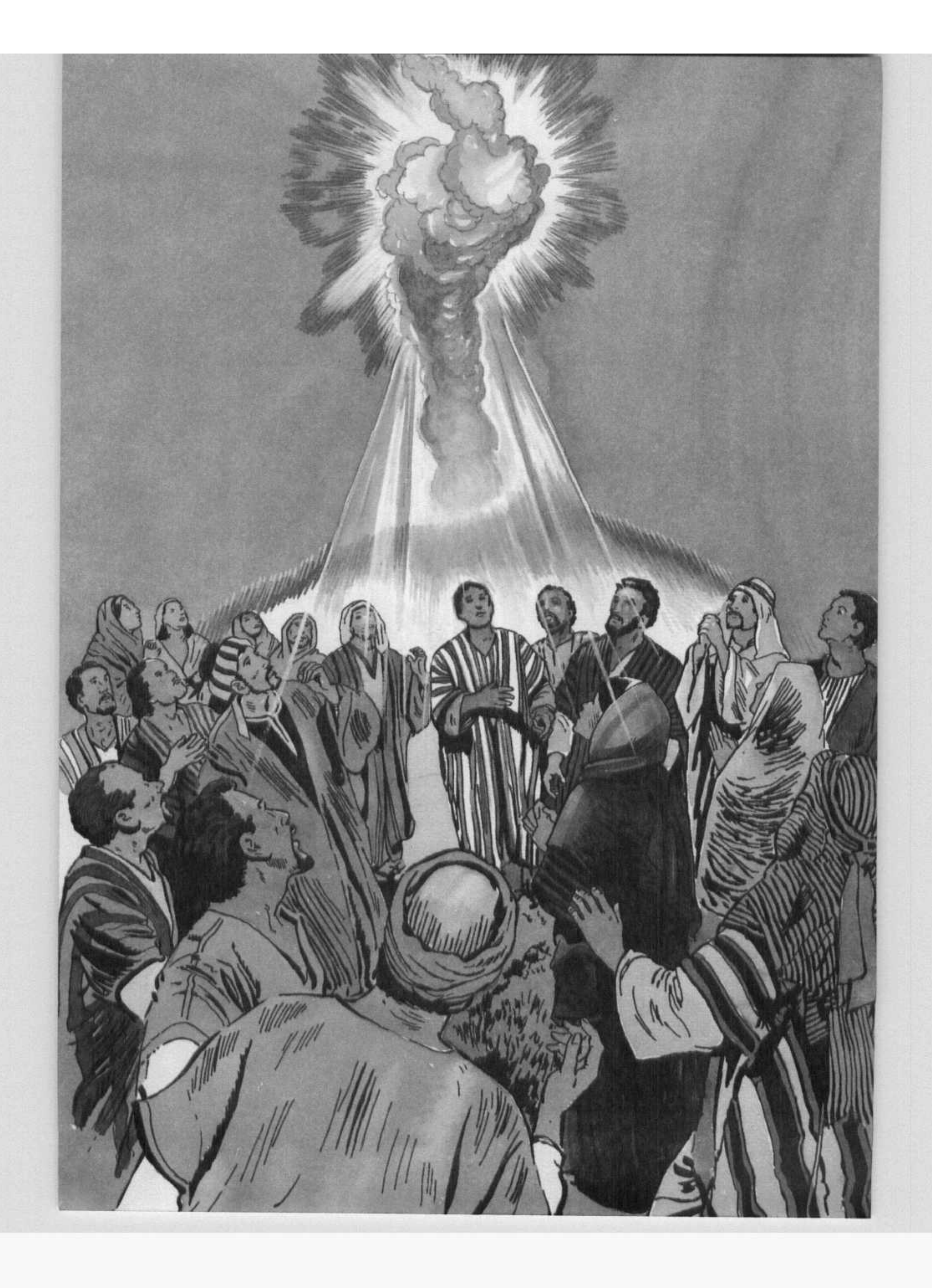
قَالَ تعَالَى: ﴿ومكروا ومكر اللّهُ واللّهُ خيرُ الماكرين ﴿٥٤﴾ إذْ قال اللّهُ يا عيسى إنّي مُتوفّيك ورافعُك إليّ ومُطهّرك من الّذين كفروا وجاعلُ الّذين اتّبعوك فوق الّذين كفروا إلى يوم القيامة ثمّ إليّ مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون﴾ [آل عمران: ٥٤، ٥٥].

وقَال تعالى: ﴿لقد كفر الّذين قالوا إنّ اللّه هو المسيح ابن مريم قُلْ فمن يملك من اللّه شيئًا إنْ أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأُمّه ومن في الأرض جميعًا ولِلّه مُلك السّموات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء واللّهُ على كلّ شيءٍ قدير﴾ [المائدة: ١٧].

وقَال تعالَى: ﴿لقد كفر الّذين قالوا إنّ اللّه هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا اللّه ربّي وربّكم إنّه من يُشرك باللّه فقد حرّم اللّهُ عليه الجنّة ومأواه النّار وما للظّالمين من أنصار ﴿٧٢﴾ لقد كفر الّذين قالوا إنّ اللّه ثالثُ ثلاثةٍ وما من إله إلاّ إلهٌ واحدٌ وإن لّم ينتهوا عمّا يقولون ليمسّنّ الّذين كفروا منهم عذابٌ أليمٌ ﴿٧٣﴾ أفلا يتوبون إلى اللّه ويستغفرونه واللّهُ غفورٌ رّحيمٌ ﴿٧٤﴾ ما المسيح ابن مريم إلاّ رسولٌ قد خلت من قبله الرّسل وأُمّه صدّيقةٌ كانا يأكلان الطّعام انظر كيف نبيّن لهم الآيات ثمّ انظر أنّى يؤفكون﴾ [المائدة: ٧٢ - ٧٥].

وقَال تعالَى: ﴿يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على اللّه إلاّ الحقّ إنّما المسيح عيسى ابن مريم رسول اللّه وكلمته ألقاها إلى مريم وروحٌ منه فآمنوا باللّه ورسله ولا تقولوا ثلاثةٌ انتهوا خيرًا لّكم إنّما اللّهُ إلهٌ واحدٌ سبحانه أن يكون له ولدٌ لّه ما في السّموات وما في الأرض وكفى باللّه وكيلاً ﴿١٧١﴾ لن يستنكف المسيح أن يكون عبدًا لّلّه ولا الملائكة المقرّبون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعًا﴾ [النساء: ١٧١، ١٧٢].





وأخيرًا: فإنَّ الصِّدقَ مَعَ النَّفسِ والصَّدقَ مَعَ الآخَرِينَ هُوَ أَمرٌ مُهِمٌّ فِى حَيَاتِنَا، لأنَّ الصِّدقَ يُنجِى الإنسَانَ مِنَ المهالكِ، وَهذه القِصَّةُ تحدِّثُنَا عَنْ صِدقِ العِبَادةِ مَعَ اللهِ فِى حَيَاةِ السَّيدةِ مَريمَ التى أَصدَقَهَا اللهُ وأعطَاهَا آيةً بينةً لمْ تُعطَ لأحَدٍ مِنَ العَالمينَ، وَهِىَ خَلقُ نَبيِّهِ ورَسُولِهِ عِيسَى ابنِ مَريمَ مِنْ أُمٍّ بِلاَ أبٍ، ثمَّ صِدقِ المسِيحِ فِى دَعوتِهِ لعِبَادةِ اللهِ وَحدَهُ لاَ شريكَ لهُ، ودَعوتِه إِلَى الأَخلاَقِ الفَاضلةِ، ولكنَّ بَنِى إسْرائيلَ - كَعادتِهِمْ - عَاثُوا فِى الأَرضِ فَسَادًا، وَأَرادُوا قَتلَهُ، فرفعَه اللهُ حَيًّا إليهِ، لأنَّ اللهَ قَادرٌ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ.

إنَّ الجِهادَ فِى سَبيلِ الدَّعوةِ إِلَى اللهِ هُوَ جِهَادُ نفسٍ، وجِهَادُ عِلمٍ، وجِهَادُ مَالٍ، وجِهَادُ حيَاةٍ، فَلا بَدَّ أنْ نَجعلَ الدَّعوةَ إِلَى اللهِ قَضيتَنَا الأُولَى، وأَنْ ندْعُوَ إِلَى اللهِ بالحكْمةِ والموْعظَةِ الحسَنَةِ، ونُبينَ آياتِ اللهِ رَبِّ العَالمينَ للنَّاسِ مِنْ أجْلِ العبْرةِ والعِظةِ، حَتَّى يَعُودُوا إِلَى رُشدِهِمْ، ويُواصِلُوا العَمَلَ الصَّالحَ،ويجَدِّدُوا إِيمَانَهمْ بِاللهِ عَزَّ وجَلَّ.

إن قِصَّةَ عِيسَى ابنِ مَريمَ عَليهِ السَّلامُ تَدعُونَا للأَخْذِ بالأَسْبَابِ والتوَكلِ عَلَى اللهِ بَعدَ ذلكَ، فَلاَ إيمَانَ بدُونَ عَملٍ، وَلا دَعوةَ بدُونِ موعِظةٍ حَسنةٍ،وبذلكَ نُرجُو أَنْ يُنجِينَا اللهُ مِنْ عَذابِهِ الأَليمِ، ويسْكنَنَا مَعَ أَوليائهِ جَنَاتِ النَّعيمِ، إنهُ حَسْبُنَا ومولاَنا. .وهُوَ نعمَ المولَى ونعْمَ النَّصيرُ.